

الفستان الأبيض

للقصصاني الانجليزي ستاكي أومونيير
بقلم الأديب نظمى خليل

مكباً على الجرائد والمجلات التي كنت أرغب في قراءتها . ثم جبرنا خطأ يسير وقع في أحد أعداد « مجلة السبت » إلى الخوض في حديث عادى أعقبه لفتة منه ، ثم حديث عن الجو ، ثم انحناء من جانبه وسؤال عن صحته من جانبي

إلى أن اتفق أن خرجنا من الدار يوماً وسرنا معاً حتى نهاية الطريق

لقد شعرت بالميل إليه منذ أول مرة ، فقد ملك على شعوري تعبيرة الدقيق الواضح وما يحمله من عاطفة قوية مكبوتة ، حتى أن ميله لأتفه الأشياء كان يثير في نفسي أعمق الذكريات . فإن قال « ما أبهج هذا اليوم : لم يكن هذا القول اصطلاحاً مألوفاً أو قولاً معتاداً ، بل كان إفصاحاً عن الفرح والغبطة لحياة الربيع ، والشمس المشرقة ، والخراف الصغيرة وهي تثب وتقفز على حافة المراعي الخضراء ! ولو قال : إني جد آسف ! جواباً لقولك : أنى نسيت تذكرة السيارة فاضطرت لدفع الأجر مضاعفاً ، خيل إليك أن جميع أنواع الحزن قد تجمعت في تلك السحابة من الدموع التي تطفرف من عينيه !

دعاني يوماً لزيارته ، وكان يقيم في الدور الأول من منزل صغير وحيداً ليس معه إلا امرأة نصف قد انسلت إلينا في خطى خفيفة سريعة . لقد كانت الغرفة كما وصفها فقيرة ، ولكنها لم تكن بالغة حد الفقر . قد تناثرت فيها قطع الأثاث والصور التي تحمل أعمق الذكريات ، فأدرت حينئذ مكانة الممثل . فلو أنه كان مصوراً لاستطعت أن أنظر إلى بعض آثاره فأعرف قدره ، ولكن ماذا نعمل حيال

عند ما يبلغ كل إنسان نهاية الطريق يقف المصور والمؤلف والمهندس والمثال ، كل يشير إلى عمله ويقول : « هذه هي آثارى ، سوف أنال بها تقدير الأجيال المقبلة » ولكن لا يبق للممثل أو الموسيقي شيء إلا الذكريات التي تعلق بأذهان من يحبونها ؛ فقد تسمع إنساناً يقول لك « إيه بنى كان ينبغى لك أن تسمع فلاناً أو تشاهد فلاناً » ولكن لو لم تكن قد سمعت الموسيقى أو شاهدت ذلك الممثل فإن هذا الكلام لا يترك فيك أثراً .. ولكن الممثل أسوأ حظاً من الموسيقي لأن الناس يحاولون الآن بمختلف الطرق أن يحتفظوا بآثار الموسيقى ، ولكن ليس ثمة وسيلة للاحتفاظ بتلك الحالات النفسية العنيفة التي يكون عليها الممثل في ليالي مجده . فقد مضت هذه في طيات الزمن وغابت في زوايا الأساطير

خطرت لى هذه الأفكار الحزينة لأول مرة عند زيارتي « جيلين براكير » . فقد قابلت هذا الشيخ السن في إحدى دور الكتب برأسه الجميل الممتاز ، وشعره الأبيض المتعوج ، قد حمل نفسه في خفة ظاهرة ونشاط موفور على رغم انحناء عوده وتقوس ظهره

كنت كثير التردد على تلك الدار فألقاه دائماً

الهدايا وبمض النبيذ، وكانت زوجي تصغرني في السن وهي كلفة بالرقص والمسرح ومجالس الطرب. ولا غرابة في هذا فهي لم تزل في شبابها النضر وجمالها المتفتح وعمرها الفض. إن شعرها .. لا، إني أستطرد في هذا ... اتفق يوماً أن تقابلنا مع الممثل في أحد الأزقة فرأيت تغييراً كبيراً في البطل الذي أعبدته، فقد كان راتعاً في ذلك اليوم يزري بأشد الناس أناقة وجمالاً. فلما قدمت إليه زوجي أمسك بيدها ثم قال :

حقاً إنها لفرصة سعيدة !

إن هذه الكلمات لا تحمل سحراً ما دامت مرسومة في حروف، ولكنها سحرت « أليس » فاحمر وجهها وفاض قلبها وشعرت أنه إنسان عزيز عليها ثم مضت الأيام وأنا دائب على زيارته كلف بالوقوف على آثاره ومخاطراته الأولى، حتى توثقت بيننا المودة، وقويت الألفة، وأصبحت أجد من نفسي المرأة على فتح أدراج مكتبه والتطلع إلى كل ما بالغرفة من صور وآثار. حتى رأيت في إحدى الليالي وقد تأخر بنا الوقت واستهوانا الحديث ذلك الفستان الأبيض الصغير. لقد كان فستان فتاة صغيرة قد وضع كما طواه صانعه في أعلى الصندوق. فأخذه في يدي ودنوت منه وهو يرثشف شرابه وقلت له : « ما هذا يا مستر برانكيز ؟ فخذق النظر في الفستان وسرعان ما أدركت عليه الارتباك والدهشة وأحسست بشيء من الألم والندم يشيع في نفسه وهو صامت ذاهل فاقتربت منه وربت على كتفه وقلت : « إني آسف ألا شك أن هناك قصة ينبغي ألا ... »

فأمسك بذراعي وتعم قائلاً : « لا ، لا ، حسن

مثل قديم قضى أكثر عمره في الماضي ! إن الموقف كان يشير إلى شفاق والحزن

لا ريب أنه كان ممثلاً قديراً في زمنه ؛ هذا ما شعرت به وإن كنت لم أدر شيئاً عن حياته الأولى. ولم أرد أن أعرف أي الأدوار التي قام بها، لأنني شعرت أنه ينبغي لي أن أعرف هذا من نفسي. ولم يكن هذا الشخص بالفخور الذي يتحدث عن أعماله، ولكنني استطعت أن أعرف عنه بعض الشيء من الآثار المتناثرة التي كانت في غرفته.

فقد رأيت صورة له في دور « ملفوليو » وغيره من أبطال شكسبير ؛ ثم رأيت صوراً عديدة مهداة إليه من كبار الممثلين، وبذلك أخذت أمسك بخيوط حياته شيئاً فشيئاً. ومهما يكن ذلك المركز الذي وصل إليه في عالم التمثيل فيما مضى فإنه كان لا يزال محتفظاً بتلك القوة التي تهز شخصاً وتستبد به من أعماق روحه. فقد شعرت أن كل شيء في تلك الغرفة يسمو كالخيال

وعند ما أخذ يتحدث عن أمه شعرت أن صوته قد خفت كأنه منبعث من أعماق بعيدة، واستطعت أن أعرف من كلامه أن أمه كانت ممثلة فرنسية عظيمة، فقد رأيت على البيان مروحة ثمينة مهداة إليها من الأميرة أوجيني؛ ولكنه لم يذكر أباه طوال ذلك الحديث

لقد اعتدت الذهاب إليه كل يوم خميس منتهزاً فرصة خروج زوجي لزيارة عمته المجوز فكانت كل زيارة تحمل إلى قلبي اللذة والسرور. لم يعرف شيئاً عن عالمي كما أنني لم أعرف شيئاً عن عالمه. وأخيراً وقعت تحت سلطان رقيته، وسرعان ما أدركني الشفاق على وحدته، فأرسلت إليه أنا وزوجي بعض

أحد الأصدقاء الأعزاء ، ولكنه وأسفاه قد مات ميتة شنيعة » ثم أمر يده على جبينه كأنه يحاول أن يدفن تلك الذكرى المؤلمة . وأخيراً التفت إليه زوجي وقالت مازحة :

— ألسنت تنوى أن تحدثنا عن ذلك الفستان الأبيض ؟

فرفع رأسه الجميل المكلل بالشيب ثم مدّ ذراعه الطويل فأمسك بيد زوجي وضغط عليها وقال : « أرجوك أيتها السيدة العزيزة أن ترتشي هذا الكأس لذكرى صديق القديم » ثم أخذ يرتجف وهو يدين كأسه من شغفه ولكنه كان لا يزال تأثر العاطفة فأعقب الأولى بأخرى

لقد كنت نفوراً بصداقة ذلك الممثل وما لديه من ذكريات وآثار فأشرت إلى الصورة التي كانت مهداة إليه من « هنري أرفنج » بتوقيعه « إلى صديق العزيز ... » ولكن برانكير هزّ كتفيه وأخذ يتهدتهدات عالية . ربما لم يكن يجد في هذه الآثار ما يدعو إلى الفخر ، وربما كانت هذه في نظره شيئاً تافهاً

ثم أعادت عليه زوجي سؤالها عن الفستان . فأنحني أمامها ومضى في صمت إلى الصندوق ثم عاد به ونشره في خشوع وتقديس على ظهر المقعد ، فعجبت أليس لمراه ، أما هو فقد أخفى رأسه بين يديه وغاب في صمت عميق ، فبقيت أنا لا أفكر إلا في ذلك الموقف الرهيب الذي وجدت فيه نفسي ، فقد كانت الغرفة كلها مثقلة بالذكريات ، وكانت زوجي قابعة في مقعدها تسطح على وجهها الجميل الشبيه بوجوه الأبطال الأنوار فتزيدها فتنة وجمالاً . وفي الجانب الآخر من المدفأة جلس الشيخ في شعره

يا بني . سأخبرك بهذا فيما بعد . ثم هب واقفاً وأخذ يحطو في الغرفة جيئة وذهوباً دون أن ينطق بكلمة . ثم التفت إلى فجأة ووضع يده على كتفي وقال : « فلتأت إلى غداً ، ولتحضر زوجك معك . سأنتظركما على العشاء فسوف أحدثكما عن ذلك الفستان الأبيض الصغير »

لقد كانت زوجي ذاهبة إلى الرقص في ذلك اليوم . ولشدها أدهشني أن رأيتهما ترحب بزيارة مستر برانكير حتى أنني شعرت بشيء من الضيق لمصاحبتهما إياي . لقد كانت معتادة تناول العشاء في أحد الفنادق الكبرى ، فكيف ترضى بتناول الطعام في بيت ذلك الممثل الفقير ؟ فنصحت إليها أن تلبس أقدم ما عندها من الملابس وأن تتناول بمض الشطائر قبل ذهابها ، ولكنها لم تقبل نصحي وارتدت أنفخ ثيابها . فاستسلمت للأمر إذ لم يكن الاحتجاج ليجدي نفعا . ومن هنا كانت دهشتي الثانية :

كان برانكير في لباس السهرة فأثار في هذا اللباس شعوراً خاصاً لم يتركني طول الليلة ، فقد لاح لي أن زوجي وبرانكير من عالم غير عالمي . فأخذنا يتجاذبان الحديث في ألفة ووداد ، فيحدثها الشيخ في وداعة ولطف ، ثم تجيب عليه بنظرات مشتاقة أخاذة حتى شعرت أنني أكبرهما بأجيال وإن كان برانكير يكبرني بأعوام

وفي العشاء كانت الدهشة الثالثة ، فقد كانت المائدة تفيض بأنواع من الأطباق التي تتم على سلامة الدوق ، وكانت الأنوار الكهربائية تسطح على أكواب الخمر وفناجيل القهوة . وبعد أن فرغنا من الطعام دعانا مضيفنا إلى الجلوس حول المدفأة ثم قدم إلينا شراباً وأخذ يقول : « لقد بعث به إلى

الآن . لم يمد الحب اليوم إلا اغتنام فرص . ما من أحد لديه الاستعداد للتضحية . أما الحب بيني وبين أوبان فقد كان قصة التضحية والفداء . وكان المحرك لهذا انضمام « صوفي » إلى فرقنا
ثم هب واقفاً وأخذ صوته يرتجف ويخفت حتى أصبح همساً !

ثم التفت إلى اليس وقال : لقد كانت جميلة فاتنة مثلك أيتها الفتاة ! كيف أبوح بهذا السر الهائل الآن من غير وعي !!

نظر كل منا إلى صاحبه ولكننا لم نقل شيئاً . لم نشر إليها في حديثنا فقد كان كل منا حريصاً على شعور صديقه . غير أنني لو لم أكن أعرف حب أوبان لها لذهبت إليها وقلت « صوفي ! معبودتي ! ملاكي ! إني أحبك . إني أعبدك ! ألا تزوجين مني ؟ ولكن هل كان من البطولة أن أفعل هذا ؟ وأنا أعرف عواطف أوبان نحوها ! إلى أن أحسست يوماً أنني لا أستطيع حبس عواطفى فنظرت إلى صديقي فرأيت في عينيه ما شعرت به في قلبي فدنوت منه وهمست في أذنه : « أيها الزميل فلتتقدم أنت ولتكسب ذلك القلب ، إنها جديرة بك ! » فأدرك ما أبتى ثم ضغط على يدي وقال : إنك محق يا صاح . إن هذا لا يمكن أن يبقى طويلاً . فالتقابلنى بعد الحفلة في غرفتي

ثم دنا الممثل من زوجي وقال : « إني لا أستطيع أن أحدثك عن ذلك الغرام الذى حفل به لقاءنا في تلك الليلة . فقد أراد كل واحد أن يفسح الطريق لصديقه . حقاً إنها كانت ساعة رهيبة مشيرة ! وأخيراً قرّر عزمنا على ترك المسألة للظروف . ثم انصرفنا إلى لعبة الشطرنج ، فصغفنا القطع وبدأنا نلعب ولكننا

الأبيض المتموج كأنه مائل يتحدث عن ماضٍ حافل بالمآسى والآلام . ثم الفستان الأبيض الصغير !!
وجأة اندفع الشيخ بقول : « كان هذا قبل أن تأتيا إلى هذا العالم ، فأنكما لاتذكران فرقة تشارلس كارسيد الشهيرة التى كانت تعمل تحت اسمينا . لقد كنا نمثل فى مسارح حاشدة وكنا فى تلك الأيام ...
ثم التفت إلى واستأنف حديثه قائلاً : « كان هناك ممثلون ! فاللهاء والمأساة والقصة التاريخية ، كل هذه كان لها نصيب كبير من عنايتنا ، حتى لقد كنا نغير أسعارنا كل ليلة بل مرتين فى الليلة الواحدة . كذلك كنا نغير أدوارنا ، فقد كنت أقوم بدور « عطيل » مرة ثم « ياجو » فى ليلتين متعاقبتين . كذلك كان صديقي أوبان ، فقد كان يترك لى دور « شيلوك » وبأخذ منى دور « بسانيو » ... أوه .
لن أنقل عليكما بهذه التفاصيل . آه . أوبان تيرى المسكين ! صديقي العزيز تيرى !!

ثم وقف عن الكلام وأطرق إلى الأرض وشملنا صمت رهيب !

ثم استأنف حديثه قائلاً : « إذا ما قلت لكما إننا كنا أصدقاء فإني أعنى بهذا أننا كنا أصدقاء كما يمكن أن يكون الفنانون حباً وإخلاصاً وتفانياً . لقد عملنا معاً ثلاث سنوات لم تعرف الغيرة طريقهما إلى نفوسنا ، ولم يدب الحقد يوماً إلى قلوبنا
آه على تلك الأيام !!

ثم مد أصابعه البيضاء وتفرس فيها ثم التفت إلى زوجي وقال :

« أرجوك أيتها الفتاة (وقد أصر على أن يدعوها هكذا طول الوقت) أن تعذرني لما سأقصه عليك الآن . فقد كان الحب فى أيام شبابي غيره

ان أسرد عليك تفاصيل مناصراتنا التي حدثت بعد ذلك . ولكننا عندما رأينا الموقف متبائلاً عزمنا على أن نزل ميدان الكفاح في معركة مكشوفة وإلا فقدناها نحن الاثنين . فقرر رأينا على منازلها في أي وقت وفي أي مكان . ومضينا في هذا الشوط ثلاثة أشهر . وفي النهاية كان أوبان الفائز . فبقيت أقرب في كل لحظة تلك الأخبار المزعجة السارة إلى أن حدث أمر كان مستوراً

ثم غاص في كرسيه وأخذ يمر أصابعه في شعر رأسه في خفة وسرعة . ثم استأنف حديثه فقال : « فقد توفي عم أوبان وترك لابن أخيه ثروة هائلة ، ثروة لا يحلم بها البخيل ، ففرح بهذا جميع أصدقائه إلا شخصاً واحداً » . ثم نظر إلى زوجي وتهد قائلاً : « لقد عشت أعواماً طويلة ولكنني وجدت أن قلب المرأة عميق لا يمكن ارتياده وسيظل هكذا إلى الأبد ... فقد رفضت صوفي أن تتزوج من أوبان مخافة أن تهتم بأنها رضية به زوجاً من أجل ثروته . إنني أنسى ألم تلك الأيام وهولها . لقد أعلنت رفضها في صراحة وقوة ، وبقيت أنا موزعاً بين حبي لأوبان وحبي لصوفي ... إنني أستطيع أن أقول بكل صدق : إن المال قتل أوبان . فقد أخذ يبعثه في الشراب واللعب وعاش عيشة التبذل والسرف لا شيء إلا لأن المرأة التي أحبتها رفضت أن تتزوج منه ... ثم مالبت أن أغرم بمخلوقة جميلة تسمى أنابيل فتزوجا وأعقبا طفلة

كانت السنة النيران تندلع وزوجي محقة النظر في عيني المثل وهو ماض يقول : « وهنا بدأت أنظر إلى المرأة من جديد ! فان صوفي التي رفضت أن تتزوج من أوبان لأنه غني ، والتي كانت

لم تلبث أن وجدنا أن كل واحد منا يحاول أن يترك الفوز لصديقه فهضت وقلت له : « يجب أن تترك الأمر إلى القدر الذي لا يعرف التحيز ! »

ثم تناولت أكبر وردة كانت أمامي وقلت سأعد أوراق هذه الوردة فإن كان العدد كبيراً فسأتركها لك . ثم أخذت أعبث بالوردة حتى وصلت إلى الثامنة والخمسين امتنع وجهه وارتجفت مفاصله فأوصلته إلى مقعد صريح وأعطيته منها . ثم التفت إلى النافذة فرأيت الطيور ترفرف حولها وأشعة الفجر قد أخذت تلوح من وراء الزجاج

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي كنت جالساً إلى صوفي أبشها غرامي . ولكن هناك أشياء لها من القداسة ما يجعلني أتردد في ذكرها لقد رفضت ، ولكنها كانت رقيقة عذبة حتى في رفضها ، ومع ذلك فلم تكن قد وصلت إلى رأي حاسم في الأمر . فاستولى على نوع من اليأس القاتل . وليس هذا غريباً عني فإن الإنسان في تلك السن يطلب كل شيء في وقت واحد . فبقيت أداعبها أسبوعاً صباح مساء ولكنها بقيت مترددة !

لقد كانت تميل إلى ولكنها لم تكن تحبني . وفي نهاية الأسبوع ذهبت إلى أوبان وقلت له : « أيها الصديق لقد جاء دورك فقد قمت بدوري » ثم خرجت من الميدان . ولا أزال حتى الآن أذكر ذلك الأسبوع الذي رأيت فيه أعز أصدقائي يحب الفتاة التي أعبدتها !

وفي نهاية الأسبوع جاءني صديقي يقول : « إنني لا ادري مكاني الآن . فهي تميل إلى ولكني لا أكاد أعتقد أنها تحبني »

من وقت إلى آخر ، فتحضر لها أئمن الملابس وأنخر
اللعب ثم لا تلبث أن تنقطع عنها وتنساها . فشأت
الفتاة على طباع أمها فحورة مسرفة مستهتره ! فلم
يكن يههما في الحياة وهي الفتاة التي لم تتجاوز
العاشرة إلا الزينة والتبرج . غير أنها طفلة جميلة
فاتنة ! فقد كان فيها كل جمال أمها مع بعض رشاقة
واندها وخفته . فتركت الفتاة وشأنها تجالس الفتيات
الساقطات وتستمع إلى الكلام السوقي والنكات
النايبة .

لقد أحبت لوسى عمتها صوفى (كما كانت تدعوها)
لا لشيء إلا لأنها كانت تغدق عليها اللعب وتغمرها
بحبها القوي العنيف إذ كانت تكتب إليها كل يوم
وترسل إليها الهدايا من وقت إلى آخر .

ثم جفف الشيخ جبينه كأنه كان يرزح تحت
أعباء ذكريات ثقيلة مجعدة ، ثم نهض إلى إحدى
زجاجات النبيذ وملاً كأساً وأفرغها في فيه ، ثم
أعقبها بأخرى ، ثم عاد إلى مكانه وهو ذاهل عنا
كأنه يعيش في ماضيه البعيد ، ثم التفت إلى زوجته
وقال :

— لدى كثير من الفساتين الجميلة التي كانت
صوفى تصنعها للوسى بمكشكا أن تزيها إذا سمحنا
بزيارة أخرى

قال هذا في توسل ورجاء حتى أننى أحسست
أن قلبى يكاد يقطر دماً !!

أما زوجى فقد كنت أعتقد أنها ستقوم في تلك
اللحظة وتجول في الغرفة باحثة عن باقى الفساتين ،
ولكن ما أشد دهشتى إذ رأيتها صامته في مكانها
تنظر بعين حائرة لا يعرف معناها إلا بنات جنسها !
ثم مضى الشيخ في كلامه كأنه يتحدث إلى نفسه :

تضطرم غيظاً إذا مارأت أنايل قد أغرمت بطفلتها
الصغيرة . لقد صبرت عليها كثيراً أملاً في إرضائها
وكسب قلبها ... ولكنى لم أفلح ... أتصدق أنى
أعيش عشر سنوات عبداً لها وهي تقضى هذه المدة
عبدة لتلك البنت الصغيرة ؟ !

لقد نحيبت كل شيء من أجل أن أصبحها في جولة
أو أتحدث إليها في زيارة ، ولكن المرأة التي كانت
تمت بي كدمية صغيرة كانت تكرر وقتها ومالها
لشراء اللعب والفساتين لابنة أوبان ، أتصور أن
هذا ... ؟ ! »

فأجابته زوجى للمرة الأولى : نعم . فأشار إليها
الرجل برأسه وقال : ما من عمل يكون بين الرجل
والمرأة إلا وتكون نتيجته ضرراً للرجل

ففى النساء إلهامات وأحاسيس خفية تتفقدوها
فى نفوسنا فلا نجد لها ، فالمرأة مسلحة من كل جانب
وهى أوسع حيلة من الرجل وأكثر استعداداً

ولكن لم يعض عامان على زواج أوبان حتى
استيقظ ذات ليلة وقد شعر بألم شديد فأمرع إلى
دواء كان يتماطاه دائماً ولكن طاش هذه المرة
فتجرع حامضاً كانت صوفى قد أحضرته لتحميض
الصنوبر . فاندفع إلى الشارع وهو بملابس نومه وأسلم
روحه بين أذرع الشرط

لقد كان هول ذلك الحادث مطبوعاً على جبينه
فتألمنا لسماعه حتى كادت الدموع تدبجس من أعيننا
ثم تقدمت بنا السنون وحب صوفى لابنة
أوبان يزداد واهتمامها بها يشتد ، إذ كانت أمها برغم
الثروة التي تركها زوجها لا تزال تحن إلى ماضيها الملوث
المستهجن حتى خشينا على اخلاق الابنة منها ولا سيما
أنها لم تكن دأمة السهر عليها إذ كانت تزورها

ومضيت كالمجنون إلى حيث تقيم لوسى . فألقيت
بنفسي في إحدى المراتب وألقيت بالعنوان إلى
الحوذي وأمرته أنت يطير بي إليه . ثم وضعت
الفستان على ركبتى وأمخيت عليه فى رقة وحنان كما
لو كان طفلاً يحتضر

لا أدري كيف وصلت إلى هناك فقد خيل إلى
أنى سأخ فى الأبدية

لم تكذب ترى لوسى حتى صاحت قائلة : مرحباً
لقد ظننت أن عمى صوفى قد نسيته فاستأجرت
هذا الفستان !

فأجبتها : بنيتى إن عمك لم تنسك بل كانت
تجود لك بآخر قطرات قلبها . هاك الفستان .
فأخذته فى يديها وألقت عليه نظرة فاحصة وقالت :
أفستان هذا أم جلباب نوم ؟ لست فى حاجة إليه ،
ثم انسلت إلى غرفتها

فلم أملك نفسى من الغيظ وهمت أن أفنك
بها لولا أنى تذكرت أنها ابنة صديقى القديم
كيف أعود إلى صوفى بالفستان ثانية وهى تجود
بآخر أنفاسها ؟ فأردت أن أحتفظ به كأعز شىء
لدى الحياة !

فلما خلوت إلى زوجى فى منزلى سألتها : ما الفارق
بين الواقع والخيال ؟ فأجابتنى وهى تطفى نور الغرفة :
إنى لا أعرف ما يتفلسف به الناس ولا أعرف من
الحياة إلا أنك زوجى العزيز الساذج

فقلت لها : ماذا تعنين يا أليس ؟

أجابت : أنى لك أن تدرك طبائع المرأة !

ثم أصرت على النوم ! !

نظمى خليل

والفساتين ! أى دور تلعبه الفساتين فى حياتنا ! لقد
كان كارليل صادقاً فى قوله هذا . لقد كانت صوفى
ماهرة فى أشغال الإبرة وقد ساعدتها تجاربها فى
المسرح على هذا فكانت تصنع أروع أنواع الفساتين .
إن أزمة حياتى التى سأحدثك عنها كان بسببها
أحد تلك الفساتين التى صنعتها لوسى . ثم صمت
قليلاً وأخذ يدق على المائدة بيديه الجميلتين ثم قال :
« كان هذا العام الفائت فى الميدان العاشر ليلاد لوسى ،
وكانت أنا بيل قد تردت فى الهاوية حتى لم يعد هناك
أمل فى إنقاذ الفتاة ، حتى أحسست بهذا ، أنا الذى
تخطمت حياته على حب صوفى لتلك الفتاة . لقد كان
قلبي يتمزق من أجل ابنة صديقى ! فقممت مع صوفى
برحلة طويلة فى الحريف ، وقد كنت معها التابع
الطبيع . ولكن الجو كان رديئاً والمرض متفشياً .
فأصابها برد ما لبث أن انقلب نزلة صدرية ، وفى أثناء
مرضها جاءها خطاب من لوسى تطلب منها فستاناً
جديلاً يزرى بفساتين زميلاتها يوم عيد الميلاد .
فتهلل جبين صوفى وشاع الفرح فى كل قلبها . إيه
ربى ! لقد كانت تحلم فى أشد حالات المرض بالهدية
التي ترسلها إليها . وأخيراً قالت لى : « سأصنع لها
فستاناً خالياً من أى زركشة ، وإنى واثقة من أنه
سيبرى بياق الفساتين بفضل جمال لوسى . فأعجبت
برأيها ومضيت معها نشترى الفستان

ثم اشتد عليها المرض فى الأيام الأخيرة حتى
أنها لم تعد تتحرك إلا بفضل تلك الطاقة العصبية
التي بقيت حية فيها حتى تم الرحلة وتنجز فستان
لوسى قبل مجئ العيد .

وأخيراً عدنا إلى لندن وقد اشتد بها المرض
ولم نكن قد أعدنا النزل فتركناها فى حجرة صديق لى